وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية العلوم الاسلامية / قسم الاديان

فلسفة اسلامية

المرحلة الرابعة

اختصار كتاب الفلسفة الاسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية تاليف:

د. محمد السيد نعيم و د.عوض الله جاد الله

مع ماسبقت درستنا في المرحلة السابقة

اعداد م . م

ازهار حسين جاسم الصفار

1444 هـ 2023م

المحاضرة العاشرة _ وجود الله تعالى - صفاته تعالى /رمضان/1445

مسألة وجود الله من المسائل التي يتعرض لها كل إنسان وبغض النظر عن مستواه العلمي والثقافي، وإن كانت تجد اهتماماً أكثر عند المختصّين من الدارسين في الأديان وعلم الكلام، وفيما يأتي بيان بعض الأدلة وجود الله تعالى القديمة والحديثة. يعد **دليل الحدوث** من أشهر الأدلة العقلية التي استخدمها علماء الكلام، ومن القائلين به الأشعري والباقلاني في إثبات وجود الله تعالى، وهو يقوم على فكرة أن الكون حادث؛ أي مخلوق؛ أي وُجد بعد أن كان عدماً، لذا لا بدّ له من مُحْدِث؛ أي خالق، ومن الآيات القرانية الدالة عليه قوله تعالى: (أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا)، ولإثبات أن الكون مخلوق اتّبعوا الطريقة الآتية في عرض الدليل: **إن الكون يتكون من أجسام وصفات** ، والأجسام تسمى جواهر، والصفات تسمى أعراض. إن الصفات أو الأعراض متغيرة غير ثابتة، وهناك من يُظهرها ثم يُخفيها، **وهذه دلالة على أن هناك من يُنظّم أمرها وهو خالقها**. إن الأجسام لا يمكن أبداً أن تنفصل عن الصفات، فلن تجد صفة تسير لوحدها من دون جسم تلتصق به، فإذا كان الجسم يلتصق بالصفات المخلوقة، فهذا يعني أن الجسم أيضاً مخلوق مثلها لأنه يتغير بتغير صفاته. النتيجة إذاً أن الكون "بأجسامه (الجواهر) وصفاته (الأعراض) مخلوق (حادث)، وكل مخلوق لا بد له من خالق أو (محدث) **وهو الله سبحانه وتعالى**، **فنتيجة هذا الدليل إثبات وجود الله تعالى عن طريق استخدام دليل الحدوث** اما **دليل الإتقان وهو دليل أشار إليه قوله تعالى**: **(أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِين* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِين* إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُوم* فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُون)**، ويسمى **بدليل الإتقان أو دليل الإحكام**، ومن القائلين به **الإمام الأشعري والغزالي والرازي**، ومن العلماء الغربيين العالم البريطاني أنتوني فلو. ويعني هذا **الدليل أن الانضباط والالتزام والدقة التي في الكون وفي المخلوقات يستحيل أن تكون من دون مدبّر أو خالق**، فالكون تم ضبطه بشكل كبير ليصبح مناسباً لنا، ولو كان على هيئة أخرى لما كان صالحاً للحياة ومظاهر هذا الإتقان تجدها في الإنسان والحيوان وفي الكواكب وفي الغذاء، وتجدهُ في الجاذبية الأرضية وفي الغلاف الجوي، فهي معدةٌ بإتقان بما يناسب معيشة الإنسان على هذه الأرض، وإتقان الكون بهذا الشكل دليل أكيد على وجود خالق قد أوجده بهذا التناسب والانسجام ما بين الإنسان والكون وما بين عناصر الكون فيما بينها. **الدليل الفطري يقصد بالدليل الفطري أن كل إنسان يولد على صفة يلزم منها إقراره بأن له خالقاً مدبراً، فهي صفة مغروزة في الإنسان منذ ولادته، ويمكن الاستدلال عليها من قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون). يقول الرازي: فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلّته يتضرع إلى من يخلّصه منها ويخرجه عن علائقها وحبائلها، وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر، فالإنسان في الشدائد يتوجه إلى القوة الغيبية التي أوجدته، فيتقرب إليها لتخرجه من الضيق إلى الفرج، وقد قال بدليل الفطرة ابن تيمية والطبري والشيخ السعدي. ومثال على دليل الفطرة يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : "حتى إننا حدثنا أن بعض الكفار الموجودين الملحدين إذا أصابه الشيء المهلك بغتة يقول على فلتات لسانه: (يا الله) من غير أن يشعر؛ لأن فطرة الإنسان تدله على وجود الرب"،وهذه القوة الغيبية هي الله تعالى حيث أوصلته فطرته

للتعرف عليها واللجوء إليها باعتبارها خالقة للإنسان والكون. **أدلة حديثة على وجود الله لا تقف أدلة وجود الله تعالى على الأدلة القديمة التي تعرض لها علماء الإسلام في القرون الماضية، بل ما زالت هذه الأدلة تظهر مع مرور الزمن وكلّما تقدّم العلم، وفيما يأتي نماذج حديث لأدلة وجود الله.** الدليل الأخلاقي يعد الدليل الأخلاقي من الأدلة الحديثة على وجود الله تعالى، ويُنسب عادة إلى الفيلسوف الأماني كانط، ومعنى الدليل الأخلاقي: أن وجود الأخلاق فينا أثر من كمال الله تعالى الذي صاغ قلب الإنسان صياغة أخلاقية، **مثل حبنا للخير وبغضنا للكذب، واختيار الإنسان للأخلاق الفاضلة لا يمكن إلا أن يكون بسبب القوة الغيبية التي أوجدته، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الدليل بقوله تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ)، فتشير الآية إلى أنّ صدق دعوة النبي صلى الله عليه وسلم يظهر من الأخلاقيات التي جاء بها، والتي لا تكون إلا من الله ذي الكمال المطلق.**

برهان باسكال يقوم هذا الدليل الحديث على توظيف الرياضيات والاحتمالات لإثبات وجود إله، فبرهن باسكال بالرياضيات أن الإنسان المؤمن بوجود الإله يربح أكثر من الإنسان الذي لا يؤمن بالله تعالى، وكانت نتيجة استخدامه للرياضيات في محاولة إثبات وجود الله حتى وصل إلى نتيجة تبيّن أنّ على الإنسان أن يتصرف كمؤمن بالله. وذلك لأن السعادة التي يجنيها المؤمن بالله في الدنيا والآخرة أضعاف السعادة التي يحصل عليها منكر وجود الإله في الدنيا، فمن يربح مرّتين أفضل ممن يربح مرة واحدة؛ أي من يربح مرة في الدنيا ومرة في الآخرة أفضل ممن يربح مرة واحدة في الآخر. **صفات الله تعالى يتّصف الله -تعالى- بالكمال، وهو واحدٌ في ذاته وصفاته، ولا حَصر لعدد صِفاته، ويجب الإيمان التّام بهذه الصِّفات التي أُثبتت استناداً على الأدلّة**

النقليَّة والعقليَّة، وهذه الصفات هي: الوجود، والقِدَم، والبقاء، والوحدانيَّة، والقيام بنفسه، ومخالفة المخلوقات، والعلم، والإرادة، والقدرة، والحياة، والسَّمع، والبصر، والكلام، ويجب الإيمان بأنَّ ما كان ضدَّ هذه الصِّفات مستحيلٌ على الله -تعالى-، مثل: العدم، والحدوث، والمماثلة، والشَّريك، والصُّم، والبُكم، والجهل، والموت، وغيرها، والله -تعالى- مُنزَّهٌ عن كلِّ الأوصاف التي وُصف بها من قبل غيره، حيث قال -تعالى-: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ)، والله -تعالى- قادرٌ على القيام بجميع الأفعال والصفات، فهو فعَّال لما يريد، وكمال الله -تعالى- مطلق، فهو حيٌّ لا يموت، وهو الأوَّل والآخر، وبقدرته ومشيئته تتحرَّك سائر المخلوقات، وهو العالم بكلِّ شيءٍ لا تخفى عليه أصغر الأمور، حيث قال -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ). توضيح معاني صفات الله تعالى تُقسَّم صفات الله -تعالى- المثبتة إلى ثلاث أقسام، نورد بيانها فما يأتي القسم الأوَّل: يتضمَّن الصَّفة النفسيَّة التي تُعبِّر عن الله -تبارك وتعالى- في نفسه؛ وهي الوجود، فالله -تعالى- بوجوده وُجدت الأرض، والسَّماوات، والبحار، والمخلوقات، وكلُّ ما في هذا العالم، فلا وجود لشيءٍ إلا بوجوده -تبارك وتعالى-. القسم الثَّاني: يتضمَّن الصِّفات السلبيَّة، وهي التي تنفي عن الله -تبارك وتعالى- النقائض، وهي خمسة صفات بيانها فيما يأتي: القِدَم: فوجود الله -تعالى- لا يسبقه شيءٌ، فهو الأوَّل الذي لم يتقدّمه شيءٌ من قبله. البقاء: فوجود الله -تعالى- لا يلحقه شيء، فهو الآخِر الذي لا انقطاع لوجوده. القيام بالنَّفس: فالله -تعالى- مُستغنٍ عن جميع مخلوقاته ولا يحتاج العون من أحدٍ من خلقه،

الله تعالى وصفاته في فلسفة ابن طفيل – الروح في فلسفة ابن طفيل –

قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ). الوحدانيَّة: فالله -تعالى- واحدٌ أحدٌ في ذاته وأفعاله وصفاته، وهو مُنزَّهٌ عن الوالد والولد والشَّريك، قال -تعالى-: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ). مخالفة الحوادث: فذات الله -تعالى- في صفاته وأفعاله مُخالفةٌ لجميع مخلوقاته، قال -تعالى-: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). القسم الثَّالث: يتضمَّن صفات المعاني، وهي صفات أزليَّةٌ ثابتةٌ غير مُتغيِّرةٍ ولا يتَّصف بها سوى الله -تعالى-، وهي سبع صفاتٍ، يأتي بيانها فيما يأتي: الحياة: الله -تعالى- مُتَّصفٌ بالحياة، فهو الوحيد المُستحقُّ للعبادة لحقيقة بقائه، فهو حيٌّ لا يموت، حيث قال -جلَّ في علاه-: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ). القدرة: الله -تعالى- وحده القادر

على التَّأثير في الحوادث والمخلوقات، وهو الوحيد القادر على خلق ما لا نتصوَّره؛ فهو على كلِّ شيءٍ قدير، قال -تعالى-: (إِنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). الإرادة: مشيئة الله -تعالى- نافذةٌ بكلِّ شيءٍ، يحكم ويقضي بما يشاء وبيده الأمر كلِّه؛ فهو مُحدثٌ لما يريد، كما قال -تعالى-: (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ). العلم: الله -تعالى- مُحيطٌ ومُطَّلِعٌ على كلِّ ما هو موجودٌ في هذا الكون وما سيكون وما قد كان، وعلمه وسع كلَّ شيءٍ، حيث قال -تعالى-: (إِنَّما إِلـهُكُمُ اللَّـهُ الَّذي لا إِلـهَ إِلّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا). الكلام: الله -تعالى- مُتكلِّم ولكنَّ كلامه ليس ككلام البشر، بل هو أزليٌّ قديمٌ مخالفٌ لما يتصوَّره المخلوقون، حيث قال -تعالى-: (وَكَلَّمَ اللَّـهُ مُوسَى تَكْلِيمًا). السَّمع: الله -تعالى- سميعٌ مدركٌ لكلِّ الأصوات والمسموعات، وسمعه مُخالفٌ لما يتصوّره المخلوقون. البصر: الله -تعالى- بصيرٌ مُطَّلعٌ على كلِّ المرئيات، والموجودات، وما خُفي في الأنفس والعيون والصُّدور، وبصره مُخالفٌ لما يتصوّره المخلوقون. أدلَّة صفات الله تعالى يتَّصف الله -تعالى- بصفات الكمال والجلال ولا يتَّصف بنقائضها؛ فالله -تبارك وتعالى- مُنزَّه عن النواقص ومُتَّصفٌ بأعلى صفات الكمال والرِّفعة، وصفات الله -تعالى- ثابتةٌ وقد ذُكرت في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، وبيانها فما يأتي: الوحدانيَّة: قال -تعالى-: (قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَد)، فهو واحدٌ أحدٌ مُنزَّه عن الشَّريك والمثيل كما ذُكِر سابقاً. القدرة: قال -تعالى-: (وَاللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وقدرته ليست محصورة بشيءٍ. الإرادة: قال -تعالى-: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)، فلا يقع حادثٌ إلَّا بإرادة الله -عز وجل-. العلم: قال -تعالى-: (وَأَنَّ اللَّـهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)، فالله عليمٌ بالظَّاهر والباطن، وعلمه يتجاوز العقول ليس كمثله شيء. الحياة: قال -تعالى-: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)، وحياته -عز وجل- ليست كحياة مخلوقاته بل هي باقيةٌ خالدةٌ غير مُتغيِّرة. القِدَم: قال -تعالى-: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، والله -تعالى- لم يسبقه أحدٌ في وجوده. البقاء: أخرج الإمام مسلم -رحمه الله- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: (اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شيءٌ)، والله -تعالى- لم يلحقه أحدٌ ولا نهاية لوجوده. مخالفتة للحوادث: قال -تعالى-: (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، فلا وجود لمن يُشبه الله -تعالى- بأفعاله وصفاته وذاته. القيام بالنَّفس: قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّـهِ وَاللَّـهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ* إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)، فالله -تعالى- غنيٌّ عن مخلوقاته وليس بحاجة أحدٍ من خلقه. الكلام: قال -تعالى-: (وَكَلَّمَ اللَّـهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، والله -تعالى- يتكلَّم ولكن ليس كما البشر كما ذُكِر سابقاً. السَّمع: قال -تعالى-: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، والله -تعالى- يسمع

السِّرَّ والجهر. البصر: قال -تعالى-: (إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)، والله -تعالى- يرى ما لا يُرى ويُبصر أدق الأمور وأصغرها والظَّاهر والباطن منها. صفات الأفعال صفات الأفعال: هي الأفعال التي تدلُّ على صفات الله -تعالى-، وتعداد بعض صفات الأفعال لله -تعالى- فيما يأتي: الخالق. البارئ. المصوِّر. الوَهاب. الرَّزاق. الفتَّاح. القابض. الباسط. الخافض. الرَّافع. المعزّ. المذلّ. الْعدْل. المغيث. المجيب. الواسع. الباعث. المبدئ. المعيد. المحيي. المميت. المقدِّم. المؤخِّر. الوالي. الْبر. التَّواب. المنتقم. المقسط. الْمَانِع. الْمُغني. الْهَادِي. الرَّحيم.

ابن طفيل حياته ومؤلفاته ابن طفيل والفلاسفة - لله تعالى وصفاته في فلسفة ابن طفيل -الروح في فلسفة ابن طفيل –ا

ابن طفيل : اسمه ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيف القيسي الاندلسي ، فيلسوف اندلسي ولد في عام 1105 وتوفي في عام 1185 ، وهو من أهم المفكرين والفلاسفة في العصر الذهبي الإسلامي ، اشتهر بعلم الكلام وكان متأثرا بالمذهب الافلاطوني الحديث ، أعاد الفيلسوف المغربي ابن طفيل إحدى رواياته الرومانسية في كتابه حي بن يقظان. إنها قصة إنسان علّم نفسه بنفسه عاش في جزيرة منعزلة وحصل في نضجه على المعرفة الكاملة التي علمها الفلاسفة وقد كان يرمز الإنسان ما يميز قصة حي بن يقظان التي كتبها الأديب والطبيب والفيلسوف الأندلسي أبو بكر محمد بن طفيل، هو الفرادة في اعتماد الفكرة، الابتكار في البناء الفني، البراعة في المعالجة، والفعالية في الإيحاء. لقد عرض ابن طفيل في هذه القصة سيرة المعرفة الإنسانية، عبر سيرة ربيب ظبية دُعِي حي بن يقظان، وكيف تمكن بفطرته الفائقة من الارتقاء بالمعرفة من الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على نتائج ومعطيات ما جربه وخبره في عالم الكون والفساد حتى الخلص إلى الحكمة الشرقية

بو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي، أحد أكابر حكماء العرب بالأندلس، ولد في أوائل القرن الثاني عشر للمسيح (القرن السادس للهجرة) بوادي آش إحدى مدن ولاية غرناطة، واشتهر بالطب والرياضيات والحكمة والشعر. شغل منصب كاتم أسرار حاكم غرناطة زمنًا يسيرًا، ثم صار وزيرًا وطبيبًا للأمير يوسف أبي يعقوب ابن عبد المؤمن، ثاني أمراء أسرة المهدي المتوفى سنة ٥٨٠هـ.

ذكر ابن الخطيب أن ابن طفيل علَّم الطب في غرناطة وألف فيه كتابين. وروى عبد الواحد المراكشي، وهو ممن اتصلوا بأولاد ابن طفيل، أن المودة كانت بين الحكيم والأمير عظيمة جدًّا، وأنه رأى بنفسه كتبًا في الفلسفة وفي علم النفس وكثيرًا من شعره بخط الفيلسوف، وقد انتهز ابن طفيل فرصة تقربه من الأمير فجلب إلى القصر مشاهير حكماء عصره، وهو الذي قدم إلى الأمير، حكيم الأندلس ابن رشد، وكان الأمير طلب منه يومًا أن يرشده إلى عالم خبير بمؤلفات أرسطو ليطلب إليه تفسيرها وتحليلها تحليلًا جليًّا، فطلب ابن طفيل إلى ابن رشد أن يقوم بهذا العمل، واعتذر للأمير عن إنجازه بكبر سنه، فلبى ابن رشد هذا الطلب وقام بتحليل كتب أرسطو.

وقد توفي ابن طفيل في مراكش عام ١١٨٥ وسار المنصور في جنازته.

ولم يبق لنا من مؤلفات ابن طفيل إلَّا كتاب واحد هو كتاب «حي بن يقظان»، وذكر كازيري كتابًا اسمه «أسرار الحكمة المشرقية» وهو كتاب «حي بن يقظان» نفسه، وذكر ابن أبي أصيبعة في ترجمة ابن رشد، أن ابن رشد ذكر لابن طفيل كتابًا «في البقع المسكونة والغير المسكونة». وقال ابن رشد أيضًا في الإلهيات (الكتاب الثاني عشر) إنه كانت لابن طفيل آراء ثمينة في الأجرام الداخلة والخارجة.

وهذا يدل على أنه كان لابن طفيل علم واسع بالفلك، وذكر أبو إسحق البتروجي الفلكي الشهير في مقدمة كتابه في الفلك، وهو الذي أراد أن يستبدل نظريات بطليموس به: «تعلم يا أخي أن أستاذنا القاضي أبا بكر ابن طفيل قال إنه وفقًا لنظام فلكي لتلك الحركات، كان يتبعه غير النظام الذي ابتعه بطليموس، وأنه في غنى عن الدوائر الداخلة والخارجة، وأن نظامه يحقق حركات الأجرام بدون وقوع في الخطأ، ووعدنا بالتأليف في هذا الباب، ولا عجب فإن علمه غني عن الأطناب«.

أما الكتاب الوحيد الذي يثبت فضل ابن طفيل فهو الذي يتضمن فلسفة وقته في شكل قصة خيالية.

ويظهر من هذا الكتاب أن ابن طفيل كان من الإشراقيين، وقد حاول بطريق التأمل أن يحل معضلة كبرى شغلت حكماء وقته، وهي علاقة النفس البشرية بالعقل لأول، فإنه لم يقنع برأي الغزالي الذي اكتفى في الاتصال بالتصوف، إنما اتبع رأي ابن باجه وأظهر نمو الفكر الإنساني درجة فدرجة في شخص إنسان منقطع بعيد عن مشاغل الحياة سليم من آثارها وأدرانها، واختار ابن طفيل مخلوقًا لم يعلم من الحياة شيئًا، وقد نما عقله في الانفراد المطلق بذاته، وتنبه فكره بقوته وبدافع من العقل الفعَّال، فأحاط بفهم أسرار

الطبيعة وحل أعضل المسائل الإلهية: هذا ما أراده ابن طفيل من كتابه «حي بن يقظان» وسيأتي الكلام عليه عند تحليل فلسفته.

فكان ابن طفيل فلكيًّا، رياضيًّا وطبيبًا وشاعرًا، ناثرًا رشيق الأسلوب رقيق العبارة، والفضل في إظهار مواهبه والاحتفاظ بها إلى الأمير يوسف بن عبد المؤمن، فقد كان عبد المؤمن عهد في حياته إلى أكبر أولاده وهو محمد بالإمارة وبايعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد، فلما مات عبد المؤمن لم يتم لابنه محمد الأمر وخُلع. وكان الذي سعى في خلعه أخواه يوسف وعمر ابنا عبد المؤمن. ولما تم خلعه دار الأمر بين الأخوين المذكورين، وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوي الرأي، فتأخر منهما أبو حفص عمر وأسلم الأمر إلى أخيه يوسف، وهو أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب، فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة.

كان الأمير يوسف المذكور أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وأحفظهم لأيامها في الجاهلية والإسلام، وقد صرف عنايته إلى ذلك ولقي فضلاء أشبيلية أيام ولايته، ويُقال إنه كان يحفظ صحيح البخاري وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة من الفقه، ثم طمح إلى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب، وجمع من كتب الحكمة شيئًا كثيرًا.

وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشأن أبو بكر محمد بن طفيل، وكان متحققًا بجميع أجزاء الحكمة، قرأ على جماعة من أهلها، ويحسب ابن خلكان في ج٢ ص٣٧٤ أن أبا بكر بن الصائغ، وهو المعروف بابن باجه السابقة ترجمته في هذا الكتاب، كان من أساتذة ابن طفيل وهذا غير صحيح، بنص صريح من قول ابن طفيل نفسه في كتبه سيأتي ذكره في هذا الفصل وكان ابن طفيل حريصًا على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان مفننًا، ولم يزل بجمع إليه العلماء في كل فن من جميع الأقطار، ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، كما سيأتي ذكره بالتفصيل في ترجمة ابن رشد.

جعل ابن طُفيل فلسفته في شكل جواب على سؤال توجه إليه من أحد إخوانه، وهذا بالطبع تقليد لابن سينا والغزالي قال:

ولم يتخلص لنا نحن الحق الذي انتهينا إليه، وكان مبلغنا من العلم بتتبع كلام الغزالي وكلام الشيخ أبي علي، وصرف بعضهما إلى بعض، وإضافة ذلك إلى الآراء التي نبغت في زماننا هذا، ولهج بها قوم من منتحلي الفلسفة حتى استقام لنا الحق أولًا بطريق البحث والنظر، ثم وجدنا منه الآن هذا الذوق اليسير بالمشاهدة، وحينئذ رأينا أنفسنا أهلًا لوضع كلام يؤثر عنا، وتعين علينا أن تكون أيها السائل أول من أتحفناه بما عندنا، وأطلعناه على ما لدينا لصحيح ولائك وزكاء صفائك، غير أنا إن ألقينا إليك بغايات ما انتهينا إليه من ذلك من قبل أن تحكم مباديها معك، لم يفدك ذلك شيئًا أكثر من أمر تقليدي مجمل، هذا إن أنت حسنت ظنك بنا بحسب المودة والمؤالفة، لا بمعنى أنَّا نستحق أن يقبل قولنا، ونحن لا نقنع لك بهذه الرتبة ولا نرضى لك إلَّا ما هو أعلى منها، إذ هي غير كفيلة بالنجاة فضلًا عن الفوز بأعلى الدرجات، وإنما نريد أن نحملك على المسالك التي تقدم عليها سلوكنا، ونسبح بك في البحر الذي قد عبرناه أولًا حتى يفضي بك إلى ما أفضى بنا إليه، فتشاهد من ذلك ما شاهدناه، وتتحقق ببصيرة نفسك كل ما تحققناه، وتستغني عن ربط معرفتك بما عرفناه. وهذا يحتاج إلى مقدار معلوم من الزمان غير يسير، وفراغ من الشواغل وإقبال بالهمة كلها على هذا الفن، فإن صدق منك هذا العزم وصحت نيتك للتشمير في هذا المطلب فستحمد عند الصباح مسراك وتنال بركة مسعاك، وتكون قد أرضيت ربك وأرضاك، وأنالك حيث تريده من أملك وتطمح إليه بهمتك وكليتك، وأرجو أن أصل من السلوك بك على أقصد الطريق وآمنها من الغوائل والآفات، وإن عرضت الآن إلى لمحة يسيرة على التشويق والحث على دخول الطريق فأنا واصف لك قصة «حي بن يقظان وأبسال وسلامان»، ففي قصصهم عبرة لأولي الألباب وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

لفلسفة ابن طفيل الباقية لنا موجودة في كتابه الوحيد الذي سماه «أسرار الحكمة المشرقية»، وهو بنفسه رسالة «حي بن يقظان»، ويظن الذين اطلعوا عليها أن ابن طفيل استخلصها من فلسفة ابن سينا، وهذا خطأ لأنها فلسفة قائمة بذاتها، وقد فرغنا فيما ترجمنا له من عرض آرائه في فلسفة الأئمة السابقين كالفارابي والغزالي وابن سينا وابن باجه، ورأينا هذا الفيلسوف الأندلسي يختط لنفسه خطة قائمة بذاتها مستقلة عن أفكار الجميع، وقد مهد لها بتمهيد بليغ، أقر فيه بأنه وقف على آراء الجميع واستخلص لنفسه مذهبًا، وهو أول فيلسوف إسلامي صب فلسفته في قالب قصصي وجعل بطل قصته شخصًا متوحدًا، يكون نفسه وأفكاره بالاحتكاك بالطبيعة وبالكائنات التي هي أقل منه درجات من جماد ونبات وحيوان إلى أن يصل إلى نقطة الإدراك والاتصال، فهذه

القصة الخيالية تعد بحق نوعًا من الطوبى العقلية التي قلدها ونسج على منوالها كثيرون من كتَّاب الإفرنج ومفكريهم.

وقد ذكر هذا الفيلسوف أنه علم عن السلف الصالح أن جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء، وهي الجزيرة التي يتولد بها الإنسان من غير أم ولا أب، وبها شجر يثمر نساء. ولا يخفى ما في هذا القول من مفارقة بينه وبين تاريخ نشوء الإنسان من آدم وحواء، فإن جميع الأديان اتفقت على أن أصل الإنسان من رجل وامرأة خلقهما الله، ولم يقل أحد من علماء الدين أن الإنسان يخلق من الأرض لاعتدال جوها وخصب تربتها، فهذا القول من ابن طفيل يعد غريبًا بوصف كونه حكيمًا مسلمًا نشأ في القرن السادس للهجرة، يقول ابن طفيل بعد أن تكلم على تكون الحرارة بسبب الحركة وملاقاة الأجسام الحارة والإضاءة، وأن بقاع الأرض التي على خط الاستواء لا تسامت الشمس رءوس أهلها سوى مرتين في العام: عند حلولها برأس الحمل، وعند حلولها برأس الميزان. وهي في سائر العام ستة أشهر جنوبًا وستة أشهر شمالًا منهم، فليس عندهم حر مفرط ولا برد مفرط، وأحوالها بسبب ذلك متشابهة. وهذا القول يحتاج إلى بيان أكثر من هذا لا يليق بما نحن بسبيله، وإنما نبهناك عليه لأنه من الأمور التي تشهد بصحة ما ذكر من تجويز تولد الإنسان بتلك البقعة من غير أم ولا أب، فمنهم (أي من علماء السلف الصالح) من بت الحكم وجزم القضية بأن حي بن يقظان من جملة من تكون في تلك البقعة من غير أم ولا أب، ومنهم من أنكر ذلك وروى من أمره خبرًا نقصه عليك:

ثم اندفع ابن طفيل يروي قصة خيالية عن زواج سري بين يقظان وأخت ملك تلك الجزيرة، وأن هذا الزواج السري أثمر طفلًا وضعته أمه في تابوت وألقته في البحر، كما حدث لموسى عليه السلام.

وأن الذي كفل الطفل، الذي خاله ملك تلك الجزيرة وأبوه يقظان، ظبيةٌ حنت عليه ورئمت به وألقمته حلمة ثديها وأروته لبنًا سائغًا، وما زالت تتعهده وتربيه وتدفع عنه الأذى.

على أن ابن طفيل لم ترضه تلك القصة فعاد إلى رواية التكوين الطبيعي بغير أم ولا أب فقال: وأما الذين زعموا أنه تولد من الأرض فإنهم قالوا إن بطنًا من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينة على مر السنين والأعوام، حتى امتزج فيها الحار بالبارد والرطب باليابس امتزاج تكافؤ وتعادل في القوى، وكانت هذه الطينة المتخمرة كبيرة جدًّا، وكان بعضها يفضل بعضًا في اعتدال المزاج والتهيؤ لتكون الأمشاج. وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمه مشابهة بمزاج الإنسان، فتمخضت تلك الطينة وحدث فيها شبه نفاخات

الغليان لشدة لزوجتها وحدث للوسط منها لزوجة ونفاخة صغيرة جدًّا منقسمة بقسمين بينهما: حجاب رقيق ممتلئ بجسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به فتعلق به عند ذلك الروح الذي هو من أمر الله تعالى وتشبث به تشبثًا يعسر انفصاله عنه عند الحس وعند العقل

ويستمر ابن طفيل في سرد قصة هذا الطفل، الذي هو أشبه الناس بروبنصون كروزو إسلامي أندلسي يتميز عن ذاك الملاح المتوحد بأنه نشأ فريدًا لم يعرف بشرًا، ولم يألف إنسًا، ولم يقف على شيء من شئون الحياة المادية والمعنوية. ولم يفت ابن طفيل بعد أن مس مذهب النشوء والارتقاء عن بعد، أن يلم بمبدأ تنازع البقاء بين الإنسان والحيوان فقال:

واتخذ من أغصان الشجر عصيًّا سوى أطرافها وعدل متنها، وكان يهش بها على الوحوش المنازعة له، فيحمل على الضعيف منها ويقاوم القوى منها، فنبل بذلك قدره عند نفسه بعض نبالة، وعلم أن لِيَدِه فضلًا كثيرًا على أيديها إذ أمكن له بها من ستر عورته، واتخاذ العصي التي يدافع بها عن حوزته ما استغنى به عما أراده من الذنب والسلاح الطبيعي!

ولما كان ابن طفيل طبيبًا وعالمًا بالطبيعة والفلك والرياضيات، فقد جعل بطل قصته الفلسفية على صورته وصورة من سبقه من الفلاسفة.

«فبعد أن ماتت الظبية التي كانت تغذيه بلبنها، تتبع ذلك كله بتشريح الحيوانات الأحياء والأموات، ولم يزل ينعم النظر فيها ويجيد الفكرة حتى بلغ في ذلك كله مبلغ كبار الطبيعيين فتبين له أن كل شخص من أشخاص الحيوان، وإن كان كثيرًا بأعضائه وتفنن حواسه وحركاته، فإنه واحد بذلك الروح الذي مبدؤه من قرار واحد».

وكان حي بن يقظان ينازع الحيوان البقاء في سن سبع سنين. فلما بلغ واحدًا وعشرين عامًا كان قطع مرحلتين في الحياة الأولى: إتقانه التشريح ووقوفه على سر الحياة المادية، والثانية استعماله بعض الجماد والنبات أدوات للمحاربة والتغلب، واتخاذه بعض الحيوان بالحيلة أو بالقوة لإخضاع البعض الآخر مما هو في حاجة إلى استخدامه.

هذا ما أردنا إيراده من تلخيص تلك الفلسفة وسنذكر الآن بعض نصوص من قلم ابن طفيل نفسه في وصف الترقي الروحاني، ووصف الطريق التي سلكها حي بن يقظان إلى أن وصل إلى الغاية التي يرمي إليها ابن طفيل، وقد قسمنا موضوع الاقتباس إلى ستة أقسام:

- **القسم الأول:** في كيفية علم حي بن يقظان أن كل حادث لا بد له من محدث.
- **القسم الثاني:** في نظر حي بن يقظان في الشمس والقمر والكواكب وبقية الأجرام السماوية.
- **القسم الثالث:** في أن كان الذات ولذتها إنما هو بمشاهدة واجب الوجود.
- **القسم الرابع:** في أنه نوع كسائر أنواع الحيوان وأنه إنما خلق لغاية أخرى.
- **القسم الخامس:** في أن السعادة والفوز من الشقاء إنما هي في دوام المشاهدة لهذا الموجود والواجب الوجود.
- **القسم السادس:** في الفناء والوصول.